خديعة

ران الهدوء والسكون على شارع (.....) بالحى المتميز بمدينة السادس من أكتوبر كعادته فى مثل هذا الوقت من النهار فى معظم أيام الأسبوع، إذ كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة بقليل، ولم يكن هذا وقت ذهاب إلى العمل أو عودة منه.

فتح باب فيلا صلاح البنداجونى، وخرجت مشيرة من الباب، وأغلقته خلفها، واستدارت ناحية اليمين وسارت على الجانب الأيمن من الشارع بخطوات معتدلة فى خفة ورشاقة جعلاها تبدو وكانها حرصت على أن تتيح للرائى فرصة مشاهدة جمال وجهها وأناقة ملبسها.

كانت مشيرة مرتدية عباءة سوداء اللون برسوم ذات فصوص لامعة كالفضة، ولم تتمكن الطرحة الشيفون ذات اللون الرمادى الفاتح والخطوط السوداء التى تزخرفها أن تخفى كثيرا من ملامح وجهها، وقد أحاطت مشيرة عينيها السوداوين بخط أشد منهما سوادا زادهما جمالا ورونقا، وجعلهما فى حالة تباين مع بياض عينى

مشيرة من ناحية، ومع بشرة وجهها المائلة إلى البياض المشوب بالحمرة من ناحية أخرى.

وقفت مشيرة على مقربة من مسجد الحصرى تتطلع إلى وجوه المارة، ثم وقعت عيناها على شاب يكبرها ببضعة أعوام ينظر إليها من حين لآخر وعلى شفتيه ابتسامة ويسير متجها نحوها، هو أسامة.

صافح أسامة مشيرة فى ود وحماسة، وأمسك ذراعها بيده اليمنى لتسير فى ناحية من الطريق، فأطاعته مشيرة وسارا متجاورين وهما يتحدثان فى بعض شئونهما، وبعد أن قطعا فى سيرهما مسافة قصيرة. تساءل أسامة:

- هل جئت بما طلبت؟

هزت مشيرة رأسها بالإيجاب، فلاح السرور على وجه أسامة، وأمسك بيدها اليمنى فى حنان، وضغط عليها بأنامله فى رفق وكأنه يحتضنها، فشعرت مشيرة وكأن مسا كهربيا يسرى فى جسدها ويدغدغ حواسها، فجذبت يدها من يده برفق وسارا فى صمت.

انعطف الاثنان إلى شارع، ومرا فى طريقهما بكشك يبيع المرطبات، فطلب أسامة من مشيرة أن تنتظره برهة ريثما يعود، فوقفت مشيرة إلى جانب الطريق، وذهب أسامة إلى الكشك مسرعا.

بعد قليل، اقترب أسامة ومشيرة فى سيرهما من قطعة من الحجر تصلح لأن يجلسا عليها، فاتجها نحوها وكل منهما بيده اليمنى علبة من عصير الفاكهة، كان يحتسى منها من حين إلى آخر جرعة صغيرة، فيمس طرف الأنبوبة بشفتيه برفق كما يحتسى فرخ الحمام الماء من فم أمه الحنون.

وبعد فترة وجيزة، جلس الاثنان على قطعة الحجر متجاورين، ورشف أسامة آخر جرعة فى علبة العصير، وألقى العلبة على الأرض، واعتدل فى جلسته، ولاحت الجدية على وجهه. وقال:

- مؤكد أنك تعلمين إننا يجب أن نضحى من أجل مستقبلنا.. نريد أن يكون عندنا مسكن... وأن يكون لدينا أبناء.

تأمل أسامة وجه مشيرة ليعرف مدى تأثير حديثه عليها، وشعر بسرور بالغ عندما رأى حمرة الخجل تعلو وجه مشيرة، فأطرقت برأسها. وقالت:

- ضقت بالعمل خادمة للآخرين... أريد أن أخدم من أحببت.

تسائل أسامة فى نبرات صوت تنطوى على التخابث:

- ومن الذى احببت؟

رنت مشيرة إلى أسامة وابتسمت فى خجل، وجذبت عينيها من عينيه بسرعة، وأطرقت برأسها فى حياء،

وساد بينهما صمت شغل كل منهما خلاله بما يجيش فى صدره من مشاعر، وما يدور فى ذهنه من أفكار، وقطع أسامة الصمت بأن رجا مشيرة أن تقوم بتنفيذ ما يخبرها به بالحرف الواحد، فوعدته بأن تفعل.

أعطى أسامة لمشيرة بطاقة فيزا، وتأمل تعبيرات وجهها وهى تفحص البطاقة، وبدا الارتياح على وجهه عندما أخبرته بأنها تشبه تماما البطاقة التى لدى سميحة. فأحس بالطمأنينة، وأخذ يوضح لها ما ينبغى عليها أن تفعل.

وكان الليل قد أرخى سدوله على الكون، وأضيئت المصابيح فى أماكن متفرقة من الفيلا لتبدد الظلام، وكانت مشيرة واقفة فى الردهة على مقربة من حجرة صلاح وسميحة مصغية بانتباه إلى الحديث الذى دار بينهما، وأخبر صلاح سميحة بأنه اتفق على بناء فيلا، ودعا صاحبها ووكيله إلى تناول العشاء معهما، وطلب منها أن تأمر مشيرة بأن تعد لهم مايكفى من طعام.

طمأنته سميحة بأنها ستقوم بتنفيذ ما طلب، وكان صلاح قد انتهى من ارتداء ثياب الخروج، فتناول حقيبة أوراقه، ولثم وجنة سميحة، وغادر الحجرة. فتبعته سميحة إلى أن غادر الفيلا ليذهب إلى الشركة الهندسية التى يملكها، وعادت إلى الحجرة، وبدأت فى

ترتيب محتوياتها، وعندما فرغت ذهبت إلى حجرة المعيشة لتشاهد حلقة من مسلسل تليفزيونى تتابع مشاهدته.

انتهزت مشيرة الفرصة، وتسللت إلى حجرة نوم سميحة، وذهبت إلى حقيبة يدها، وكانت معلقة على المشجب، وفتحتها فى شئ من الخوف، وتناولت بطاقة فيزا البنك، ووضعت البطاقة الأخرى مكانها، وأغلقت الحقيبة وكأن شيئا لم يحدث، وغادرت الحجرة مسرعة، وذهبت إلى المطبخ، وشغلت بأداء الأعمال التى طلبتها منها سميحة.

ولم تكن الساعة قد تجاوزت الحادية عشر ليلا، عندما اتصلت مشيرة بأسامة بالهاتف المحمول وأخبرته فى عبارات مقتضبة وبصوت خافت لايبين، بأنها أدت مهمتها بنجاح، فطلب منها أن يلتقيا، وفى الحال، اتصل بصديقه حسام وأخبره بما حدث.

وبعد يومين، جلس أسامة وحسام حول منضدة، خارج كافيتريا بشارع أبو الفرج يتحدثان فى مختلف شئون حياتهما، ثم توقف حسام عن الحديث فجأة، فاحترم أسامة صمته ولاذ بالصمت فى ترقب، ثم قال حسام فى جدية وفى شعور بالعظمة:

- الغول يريد إصابة سميحة بخسائر فادحة.

فشعر أسامة بالتعجب، وتساءل عن السبب، فأجاب حسام فى لهجة العليم ببواطن الأمور:

- لايريد أن تجد المال أو الوقت اللازمين للجوء إلى القضاء ومحاولة استرداد الأرض التى سطا عليها، إنه يريد أن يقيم عليها مصنعين كبيرين يعملان طوال الأربع والعشرين ساعة.

فكر أسامة لحظة. وقال:

- زوجها سوف يعاونها.

قال حسام باستهانة:

- يعاونها... المهم لقد تم التخطيط للعملية جيدا.

مضى أكثر من أسبوعين دون أن تفطن سميحة إلى ماحدث، وعندما ذهبت إلى البنك، وقفت أمام آلة الصرف تنتظر خروج النقود التى طلبتها، وقرأت العبارة التى كتبت على الشاشة "الرصيد لايكفى".

تعجبت سميحة وأعادت سحب النقود مرة أخرى دون جدوى، فشعرت بالضيق،وقابلت الموظف المسئول، وأخبرته بأن الالة معطلة، فنفى الموظف ذلك، ورجاها أن تعيد المحاولة، لذا دار حوار بين سميحة والموظف، بعد أن أجرى عملية السحب بنفسه، وهال سميحة أن لم يطرأ جديد على الموقف.

وقف الموظف حائرا برهة، ثم نظر إلى البطاقة فى تفكير، وتجهم وجهه. وقال:

- هذه البطاقة لاتخصك.. إنها باسم (.....)

لم تصدق سميحة أذنيها، وتناولت البطاقة من الموظف بسرعة، وكأنها تختطفها، وجرت عيناها على الاسم المدون، وهالها أن الموظف لم يخطئ فى قراءة الاسم، فأحست بصدمة هائلة جعلتها تفقد القدرة على النطق أو التفكير، فلاذت بالصمت، وهى تكاد تجن من الشعور بالضيق والغضب والدهشة، وكانت نظرات الاتهام التى لاحت فى عينى الموظف أشد إيلاما، ولم تستطع أن تجد ردا عندما سألها الموظف عن كيفية حصولها على هذه البطاقة.

وقد جاهدت سميحة لكى تتمالك شيئا من رباطة جأشها، وذهبت إلى الشباك، وأخبرت الموظف بما حدث، ورجته أن يطمئنها على رصيدها، فأخبرها أن رصيدها جنيهان، وأنها سحبت حوالى سبعة وتسعين ألفا من الجنيهات خلال الأيام الماضية.

نفت سميحة فى إصرار أنها فعلت ذلك، ودافعت عن نفسها دفاع المستميت دون جدوى، وقابلت مدير البنك، فأخبرها بان البنك غير مسئول عما حدث، فغادرت سميحة البنك وهى تكاد تجن من الضيق والغضب، وعادت إلى منزلها على الفور.

امعنت سميحة التفكير دون ان تتوصل إلى شئ، وظلت جالسة فى مكانها بالردهة لاتريد أن تبرحه.

وعندما عاد صلاح من عمله،ورآها على هذه الحالة ، شعر بانزعاج وسألها عما ألم بها، فأخبرته بما حدث، فأخبرها بأنه تراوده الشكوك حول مشيرة ، ونصحها بأن تقوم بطردها.

قامت سميحة بطرد مشيرة من الفيلا دون أن تستجيب إلى توسلها وتضرعها وبكائها الحار وهى تنفى عن نفسها تهمة سرقة البطاقة.

سارت مشيرة فى الشارع مبتعدة عن الفيلا، وقد حملت فى يدها اليمنى حقيبة من النايلون جمعت فيها كل ما تملك من حطام الدنيا، واستولى عليها الشعور بالندم لأنها قابلت أسامة بالكازينو فى صباح هذا اليوم، وتذرعت بأنها قامت بزيارة خالتها المريضة.

كفت مشيرة عن البكاء، وتمالكت قسطا من رباطة جأشها، واستعادت بذاكرتها ما حدث منذ قليل قبل أن تغادر الفيلا، واستغرقت فى التفكير فيما ينبغى عليها أن تفعل.

اتصت مشيرة بأسامة، وأخبرته بما حدث، ورجته أن يبحث لها عن مكان تأوى إليه إلى أن تجد مكانا آخر تقيم فيه، فنصحها أسامة بالصبر والحذر لتحقيق هدفهما، وبعد محاولات مستميتة من جانب مشيرة وتهديدها له بأن تبلغ الأمر إلى الشرطة وصف لها عنوان منزل صديقه حسام فى روض الفرج.

وقرب منتصف الليل وقفت مشيرة أمام باب شقة حسام وضغطت زر الجرس وهى يحدوها الأمل فى أن يستضيفها بضعة أيام أو أن يستضيفها الليلة على أقل تقدير.

فتح حسام باب الشقة، ورأى مشيرة واقفة أمام الباب، فنظر إليها متأملا فى دهشة واستغراب، وسألها عما تريد، فأجابت:

- إننى من طرف صديقك أسامة وأرجو أن.....

قاطعها حسام قائلا:

- لا أعرف شخصا بهذا الاسم.

وأغلق الباب بسرعة وكأنه يصفقه.

ذهبت مشيرة إلى الشارع، واتصلت بأسامة، وبلغ أذنيها عبارة الاتصال بهذا الرقم غير متاح، فاستولى على مشيرة الشعور باليأس والضياع، واجتاحها الشعور بأن الدنيا جميعها قد تخلت عنها، فأخذت تسير من شارع إلى شارع على غير هدى، وتتصل بأسامة كل بضع دقائق دون جدوى، وعندما أصابها التعب والإعياء من كثرة السير، جلست على الطوار، ووضعت الحقيبة إلى جوارها.

بعد فترة وجيزة، لمحت مشيرة رجلا يمر وراءها بخفة وكأنه يفر من شئ ما، وكان قريب الشبه بأسامة، فنهضت

بسرعة وتبعته، وعندما أيقنت أنه هو، تبعته خلسة، وصعدت وراءه إلى سطح المنزل، ورأته يتجه إلى حجرة صغيرة، وفتح بابها بمفتاح كان فى جيب قميصه، عندئذ وقفت مشيرة على بعد خطوات. وقالت:

- لقد ضيعتنى وجعلتهم يطردوننى وأتصل بك يقال إن هذا الرقم غير متاح.

أحس أسامة كأنه صدم، واستدار ونظر وراءه فى هلع ورأى مشيرة، فتمالك شيئا من رباطة جأشه ورجاها أن تغادر المنزل فى الحال لأن صديقه صاحب الحجرة إذا اكتشف وجودها معه سوف يطردهما، فأصرت مشيرة على أن تبقى، عندئذ أغلق أسامة الباب فى غيظ، وقبض بقوة على ذراع مشيرة، ودفعها لتسير أمامه نحو الدرج وتبعها.